الديمقراطية في الإسلام

قبل ظهور الإسلام وفي جزيرة العرب نفسها عرفت هذه المنطقة واحدة من أقدم التطبيقات التاريخية للديمقراطية فقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم قصة ملكه سبأ في قوله تعالى ((قالت ياايها الملا أفتوني في أمري ماكنت قاطعة امرا حتى تشهدون))النمل ويراد هنا بالملا لغتا مجلس المشاورة أو بالمصطلح الحديث البرلمان وقولها ماكنت قاطعة امرا حتى تشهدون يدل على انقطاعها لبرلمانها وإنها ما كانت تفصل في أمورها السياسة إلا باستشارتهم واستطلاع رأيهم ولذلك فان الديمقراطية هذه التي نتحدث عنها كانت في العقود الأخيرة من الألف الثاني أو في أول عقود الإلف الأول قبل الميلاد وقبل ظهور الإسلام .

وفي مكة قلب جزيرة العرب وملتقى قوافل التجار إلى جانب كونها البلد الذي تجمع إليها قبائل العرب مع الأخذ بعين الاعتبار الدافع السياسي والاجتماعي كان يسود نوع من أنواع النظام السياسي القبلي يطلق عليه صفة ((الحكم الجمهوري)) وعندما أسطعت شمس الإسلام عدت ولادة الرسالة المحمدية مرحلة جديدة في تاريخ البشرية مليئة بالأمل والقيم السمحاء وهكذا ولد العالم مبدأ ديمقراطي جديد ، متمثلا بالاتي .

١- الشورى بمثابة الفلسفة السياسية للنظام الإسلامي مشابه للديمقراطية التي أصبحت بشكل من الإشكال فلسفة النظم الغربية على شتى إشكالها .

٢- فالشورى لم تكن اجتهادا شخصيا إنما هي ذات مستند قراني ورباني .

٣- ليست الشورى فلسفة وضعية اجتهد في ابتداعها المفكرون وإنما هي منتج الهي لا دخل للبشر في صنعه .

واستنادا على ذلك جاءت تطورات التطبيق على أيدي المسلمين الأوائل من صحابة الرسول علية السلام وأصبح هذا المبدأ ((الشورى)) فلسفة متكاملة للنظام الإسلامي ولئن كان المسلمون المتأخرون قد ضربوا بهذا المبدأ عرض الحائط وأطبقوا مايحلو لهم من النظم السياسية فليس العلة في جوهر هذا المبدأ وإنما تطبيقاته أو الابتعاد عنه من قبل النظم الاستبدادية أو الملكية أو الوراثية .

قال تعالى تأييدا لما ذهبنا إليه ((والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون)) وقول النبي صلى الله عليه وسلم ((ما تشاور قوم إلا هدوا لأرشد أمورهم)) .

وتستند مواقف الإسلام من الديمقراطية إلى عدة نقاط كالأتي .

١- مبدأ المساواة أمام القانون وأمام القضاء في التوظيف (تولى الوظائف العامة) .

٢- السلطة في الإسلام (سلطة مجالس الشورى) ليست مطلقة وإنما مقيدة بشريعة الله ودينه وأصوله .

٣- الحاكم الذي تختاره الأمة يكون مسؤولا أمام الله عن تصرفاته في شؤون الحكم قال تعالى ((إن الله يأمركم أن تؤدي الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)) الناس . وإذا ما استعرضنا مصطلحات معاصرة في موضوع الديمقراطية نجد إن الإسلام فيه ثلاثة مبادئ في هذا الخصوص تجسد الديمقراطية فيه وهذه المبادئ هي .

١- **البيعة** :- والتي تمثل الانتخابات الشعبية .

٢- **الشورى**:- والتي تمثل الاستفتاء الشعبي .

٣- **الاجتماع**:- ويعني الاجتماع الشعبي .

وحينما يتم الحديث في أيامنا هذه عن التعددية كأحد أسس ومبادئ الديمقراطية فإننا نجد الكثير من المفكرين والكتاب يعدون التعددية واحده من سمات المجتمع الإسلامي . كما يؤكد القران الكريم على التعددية السياسية داخل المجتمع الإسلامي إذا يقول تعالى ((وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا إن الله يحب المقسطين)) .

وهذه الآية تتضمن مفاهيم رئيسة في موضوع التعددية السياسية هي .

١- إن هنالك طرفين سياسيين متنازعين داخل المجتمع المسلم .

٢- الطرفان المتنازعان كلاهما مؤمن كما وضفتها الآية .

٣- تطلب الآية من طرف ثالث التدخل للوساطة بينهما .

وذلك كله يعني وجود جماعات وأحزاب في المجتمع الإسلامي الواحد .

ومما تقدم يتبين لنا أن الشورى هي الديمقراطية في الإسلام وهي احد العناصر المثالية الإسلامية ومحور للممارسة السياسية من جانب الحاكم ووفق هذه الشورى ليس من حق صاحب السلطة أيا كان ومهما كان ومهما ارتفعت مرتبته إن يتخذ قرارا دون رأي أهل الحل والربط فالشورى التزام قانوني وسياسي يفرض نفسه على الحكم بحيث إن شرعية قراره تفقد أصولها وأهليتها لو لم يسبق اتخاذ القرار السؤال والاستفهام .

وأخيرا نقول إن العلاقة بين الإسلام والديمقراطية تحضا اليوم باهتمام عدد كبير من المفكرين ويأخذ هذا الاهتمام أشكالا متعددة أما بالتأكيد على أن مبادئ الإسلامي في الشورى والعدالة وحقوق الإنسان قد سبقت الديمقراطية بشكلها المعروف اليوم بقرون طويلة أو للموائمة بين الديمقراطية المعاصرة وبين الإسلام أو لنقد الديمقراطية ورفضها باعتبارها بحسب ما يرى البعض أنها نتاجا للمجتمعات الغربية وهما تعددت التسميات والمصطلحات فان جوهر الديمقراطية ثابت في قيم وتعاليم الإسلام القائمة على الشورى والعدل والتسامح والاعتراف بالأخر .